الحلقة 23

إعداد: وليد سماحة

أحد رواد القراءة المغربية

عبدالرحمن بن موسى

يزخر تاريخ العرب والمسلمين بالعديد من الأسماء اللامعة في مجالات العلم المختلفة، هؤلاء العلماء ذاع صيتهم قديماً، وتبارى كل منهم في إثراء الحياة بعلمه واكتشافاته التي مازالت مؤثرة وذات بصمة واضحة منذ مئات السنين حتى اليوم.

ونحن بدورنا في «الوسط» نحاول إلقاء الضوء على مسيرة عدد من هؤلاء العلماء والمفكرين والدعاة، سواء على المستوى المحلي أو العربي والإسلامي، محاولين مجدداً منحهم القدر اليسير من حقهم علينا، وليتواصل الجيل الحالي مع ذكراهم العطرة. فعلى مدى الشهر الكريم سنبحر في ذكريات رموزنا، لننهل من علمهم الوفير، ونتعلم كيف برع كل منهم في مجاله، آملين التوفيق في عرض مسيرتهم.

◆ قارئ المغرب الأول

◆ حباه الله بصوت وأداء جميل وتميز بقراءة القرآن على رواية الإمام ورش عن نافع

تكريم من الملك الحسن ملك المغرب

أحد رواد القراءة المغربية المتألقين الذين أفادوا وأجادوا في هذا المجال، مخلفين تراثا كبيرا شاهدا على تميز المغاربة في تعاملهم مع القرآن الكريم حفظا وتلاوة ورواية ورسما.

فالمغرب كان دائما متميزا في كل شيء، في خصوصية المذهب فقها ومعتقدا، وهندسة وبناء المآذن والمساجد، وفي طريقة قراءتهم الجماعية على رواية الإمام ورش عن نافع.. وطريقة تحفيظ القرآن التي تعتمد على السماع من الشيخ مباشرة لأن الشيخ يحفظ القرآن الكريم برسمه وشكله وضبطه وأنصاصه، تم لقراءة عليه من طريق اللوح سماعا وكتابة وعرضا.

يقول الدكتور عبد الهادي حميتو تفوق المغاربة في حفظ القرآن والعناية البالغة بعلوم القراءة، وإحراز قصب السبق في مضمار الرسم والضبط والمعرفة بوجوه القراءات وطرقها حتى قيل: إن علم القراءات هو الميدان الوحيد الذي سيطر عليه المغاربة سيطرة تامة.. حيث يلاحظ بجلاء استيلاء أئمة القراء في المغرب على الأمد الأقصى في تحقيق القراءات وتحرير الروايات والطرق، والرحلة في طلبها إلى الآفاق، والعكوف عليها بالدرس والتصنيف والتأليف، وتقريبها من الطلاب والمتعلمين بالبسط والتيسير والتعريف نظما ونثرا).

لكن الملاحظ والمتتبع لمسار القراء المغاربة وخاصة الرواد منهم، يجد ندرة في الكتابة التي تعرف بحياتهم ومسارهم ومناقبهم وبخدمتهم لكتاب الله عز وجل حفظا وتعليما، مدارسة ومذاكرة، تدبرا وتفهما، عناية وتطبيقا، دعما ومساندة.

من بين هؤلاء العمالقة الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن البشير بنموسى الهمساسي الحسناوي السلاوي، المولود يوم 28 غشت 1908م بمدينة سلا المغربية في بيت علم حيت كان أبوه العلامة أحمد بنموسى فقيها ومحدثا.

بدأ الشيخ عبد الرحمن بنموسى رحلته مع القرآن الكريم منذ وقت مبكر جدا حيث حفظه في سن صغيرة بكتاب الفقيه محمد بريطل ثم كتاب الفقيه محمد بوشعراء، تم انتقل إلى حفظ الجرومية ولامية الأفعال ورسالة ابن أبي زيد القيرواني على يد الشيخ عبد الهادي أطوبي، كما تتلمذ على مجموعة من الشيوخ كالسيد أحمد بن عبد النبي والشيخين أبي شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي.

طالع أيضا أصوات من السماء (3): كروان القراء.. الشيخ أبو العينين شعيشع

كانت المساجد في مدينة سلا المكان الطبيعي لانطلاق هذه الموهبة الجديد التي تفردت بالقراءة المغربية ترتيلا ورسما ورواية في القرآن الكريم، وإمامهم في تلاوته وتأدية حروفه عبر الأزمان.

عرف عن الشيخ منذ صغره حبه للقرآن الكريم ومدحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتواضعه الشديد وجديته وبساطة عيشه وهمته العالية في الحفظ والتعليم، وحباه الله بصوت وأداء جميل وتميزه بقراءته على رواية الإمام ورش عن نافع، وعلى الوقف الذي وضعه الإمام الهبطي الصماتي، محافظا على خصائص القراءة المغربية المتميزة بمقاماتها ونغماتها الفنية ذات الطابع الأندلسي.

مارس الشيخ عبد الرحمن بنموسى في بداية حياته التجارة زمانا تم الكتابة الشرعية بمحكمة الاستئناف وفي المجلس الأعلى كما تشرف بإلقاء الدروس ببعض المساجد والزوايا بمدينة سلا وكان مشفعا بالمسجد الأعظم)

يؤم المصلين

إطار فني جميل جمع بين حسن الصوت ودقت الأداء، فقد كان صوته الشجي يسبح بأرواح المستمعين فوق السموات العلا، يأخذ الألباب ويدخل إلى القلوب بدون استئذان حتى أصبح علامة وقدوة لأهل المغرب وما والاه في قراءة 2، وكان يجوب المساجد والزوايا يقرأ القرآن الكريم في كل مناسبة ويمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ويحفظ الأشعار الصوفية ومختلف المتون والنصوص اللغوية والدينية، إلى جانب العديد من المقرئين والمداحين حتى أصبح علم هذه الكوكبة، وفارس تلك الحلبة.

تعرف الناس على صوته من خلال أثير الإذاعة الوطنية، ثم تعرفوا على صورته عبر التلفزة المغربية في بداية الستينيات التي كان يفتتحها ويختم إرسالها بآيات من القرآن الكريم.

ينتمي صوت الشيخ عبد الرحمان بن موسى إلى طبقة "تينور tenor" وهي من الأصوات الحادة التي تكون مساحتها مساحة واسعة، تمكنه من أداء الأنغام سواء كانت في حالة القرار أو الجواب بشكل فيه كثير من الراحة والتعبير والزخرفة... فقراءته هي عبارة عن توليفة متجانسة ومتناسقة من المقامات المغربية الأصيلة التي استقاها من احتكاكه بالمديح والسماع، حتى اشتهر بقراءته بمقامين اثنين مقام رمل الماية ومقام السيكا الذي كان بارعا فيهما ويؤتيها حقهما ويشد الأسماع إليه عندما يقرأ بهما).

كان المقرئ الفقيه بنموسى من المؤسسين لجمعية هواة الموسيقى الأندلسية بمعية شخصيات مرموقة كالمرحوم علال الفاسي والمرحوم محمد الفاسي والمرحوم الحاج أحمد بلافريج وقاسم الزهيري وغيرهم في يناير 1958، كما كان له شرف المشاركة في عدة لجن وطنية ومحلية لمباريات حفظ وتجويد القرآن الكريم وكذا جمعيات فن المديح والسماع)، وظل على هذا النهج حتى توفي – رحمه الله – يوم الاثنين 17 شوال 1417هـ الموافق ل 24 فبراير 1997 عن سن تناهز التاسعة والثمانين.

الشيخ في شبابه

صوته يدخل القلوب بلا استئذان